

أزواج النبی صلی الله علیه وسلم

صفیة بنت حبیب

(عقيلة بنت التضير)

تألیف

عبد الرؤف البهساوی

العلم والایمان للنشر والتوزيع

٢٠٠٢/٢٠٠١

الناشر: مكتبة العلم والإيمان

ميدان المحطة - ش. الشركات - سوق - كفر الشيخ

تليفون ٥٦٠٢٨١

رقم الإيداع : / ١٩٩٩ م

الترقيم الدولي : ISBN 977-308-

جمع وإخراج : وحدة كمبيو جرافيك

بمكتبة العلم والإيمان للنشر والتوزيع

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

الطبعة الثانية : ٢٠٠٢/٢٠٠١

تحذير : يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأي شكل

من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر .

« وأمر صلى الله عليه وسلم بصفية فحيّرت خلفه
وألقى عليها رداءه فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه »

(السيرة النبوية)

(وصحيح مسلم)

• صفيه بنت حىي •

أبوها

حىي بن أخطب

زواجها :

سباها الرسول صلى الله عليه وسلم فى خير، فاصطفاها لنفسه .

صداقها :

أعتقها عليه الصلاة والسلام وتزوجها ، وكان عتقها صداقها (١) .

(١) صفات ابن سعد ٢ / ٢٨٤ والاستيعاب ٤ / ١٨٧٢ والإصابة

حدث مولى لصفية يدعى كنانة

وقيل هو ابن أخيها قال - « قدمت صفية

فى حجابها، على بغلة لترد عن عثمان ، فلقينا

الأشتر ، هو النخعي ، فضرب وجه البغلة، وهو لا يعرف

راكبتها، فقالت لى صفية :-ردنى لا تفضحنى !.

ثم وضعت معبراً بين منزلها ومنزل عثمان، فكانت تنقل إليه

الطعام والماء ، وهو فى محنة الحصار (١).

وماتت صفية حوالى سنة خمسين ، والأمر مستقر لمعاوية ، ودفنت

بالبقيع، مع أمهات المؤمنين

حديثها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرّج فى الكتب الستة، ومن

الذين رووا عنها ابن أخيها ومولاها كنانة، ومولاها الآخر يزيد بن متعب،

والإمام زين العابدين على بن الحسين، ومسلم بن صفوان، فى عدد من

حفاظ التابعين رضى الله عنها وعنهم .

ولم يعصم صفية مما كانت تخاف ، تقربها من عائشة وحفصة

فما أكثر ما سمعت التعريض جهراً وتلميحاً بالدم اليهودى

الذى يجرى فى عروقها؟! وما أكثر ما صكت أذنيها

(١) الإصابة ٨ / ١٢٨ والنقل منها .

سهام جارحة، تأتي عليها أن

تسكن وتطمئن ، في ظل أكرم زوج

والذي ألم صفية أن عائشة وحفصة اللتين انضمت

إليهن كانتا تشاوركان الأنصريات نسي ليل منهن

ومفاخرتها بأنهن قريشيات أو عربيات ، وهي الأجنبية الخيلة.

وبلغ صفية كلام عن حفصة وعائشة، فلما حدثت النبي به وهي

تبكى قال صلى الله عليه وسلم : - ألا قلت : وكيف تكونان خيراً

منى، وزوجي محمد وأبي هارون وعصى موسى ؟ (١)

ونزل كلام الرسول على صفية برداً وسلاماً، وكان لها منه حمى وملان.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحس غربة صفية، في دوره بين نسائه

، فيدافع عنها كلما أتيحت له فرصة.

حدث أنه كان في سفر ومعه صفية وزينب بنت جحش فاعتزل بعير

صفية وفي بل زينب فضل ، فقال لها : - «إن بعير صفية اعتل ، فلو

أعطيتها بعيراً؟».

أجابت في ترفع وازدراء : - «أنا أعطى تلك اليهودية ؟».

فولى الرسول عنها مغضباً، وتركها شهرين أم ثلاثة لا

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات .

بقربها، أو قيل «فهجرتها لذلك،
ذا الحجة والمحرم وبعض صفر، ثم أتاها
بعد عه وعاد إلى ما كان عليه معها» (١) ..

ولم تحرم صفية هذه الحماية حتى آخر أيامه عليه الصلاة
والسلام روى أن أمهات المؤمنين اجتمعن حول فراش الرسول
صلى الله عليه وسلم في مرضه الأخير ، فقالت صفية :- إني والله
يا نبي الله ، لوددت أن الذي بك بي، فما كان من أزواجه إلا أن
غمزن ييصر من فما راعهن إلا أن قال صلى الله عليه
وسلم :- «مَضْمُون» .

تساعلن في دهشة من أى شئ؟

قال :- « من تَأمَزن بها، والله إنها لصادقة » (١) .

ولحق الرسول بربه الكريم، وافترقت صفية، تلك الحماية الطيبة، فما
نس الناس أنها مَضمرة من سُلالة يهود وما أنفوا من مهاجمتها من
تلك الثغرة التي لم يكف لستدّها حسن إسلامها، وزواجها من
النبي عليه الصلاة والسلام .

حدثوا أن جارة لها أتت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات من حديث السيدة عائشة.

فقلت :- « يا أمير المؤمنين إن
صفية تحب السبب وتصل اليهود » فبعث
عمر إلى صفية يسألها عن ذلك فأجابت :- «أما
السبب فإنى لم أحبه منذ أن أبدلنى الله به الجمعة ، وأما
اليهود فإن لى فيهم رحماً فإنى أصلها !»
ثم انتنت إلى جاريتها فسألتها عما حملها على مثل هذا الافتراء ،
فأجابت الجارية :- الشيطان .
وردت صفية :- «إذهبي فأنت حرة» (١) .
واندفعت صفية راضية أو كارهة، تشارك فى المعركة السياسية التى
بدأت فى عهد عثمان وكان موقفها إذ ذاك شبيهاً بموقف بين عائشة
والزهراء، فبالرغم من حرصها على مودة عائشة التى كانت حينذاك ذات
نفوذ سياسى قوى، ومكانة فى الدولة الإسلامية رفيعة، لم تآل صفية
جهداً فى الولاء لأمير المؤمنين عثمان الذى ما فتئت عائشة تحرض
عليه، حتى بلغ بها الأمر أن دلّت قميص رسول الله من بيتها
وصاحت فى المسلمين :-

(١) ابن سعد فى الطبقات (مرجع سابق) .

« يأيها الناس، هذا قميص
رسول الله لم يبل، وقد أبلى عثمان سنته

• رُوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى •

* ثم انتقلت صفية إلى دور النبي فواجهها هناك مشكلة
محيرة، كانت عائشة ومعها حفصة وسودة فى جانب، والزوجات
الأخريات فى جانب آخر تقف فيه السيدة فاطمة الزهراء رضى الله
عنهن .

وكان على صفية أن تختار، وإنه لموقف صعب فما كانت فى ذكائها بالتى
تناصب الزوجة الأثيرة أو الابنة الغالية عداً أو شبه عدا .
ثم اسعفتها لباقة طبعها وواتها حذرها الموروث، فقررت أن تتقرب من
عائشة وحفصة والزهراء جميعاً .

وكان مظهر تقربها إلى ابنتى أبى بكر وعمر، إظهار استعدادها
للانضمام إليها .. وأما الزهراء فأهدتها صفية بنت حى حلية لها
من ذهب، رمزا للمودة وإعلان لمسالمتها (١).

ولعل صفية أرادت أن تحتمى بهذا الموقف اللبق، مما

(١) الإصابة ج٢ ص ١٢٧ .

كانت تخاف من تعريض

بأصلها اليهودي، وتذكير بما بين قومها

والإسلام من عدااء مستحكم مريع.

وما كان لها، في الحق أن تخشى أذى من الزهراء فإنها

رضى الله عنها كانت أحرص الناس على الإسلام، وأبر بأبيها

من أن تشارك في هذا الضجيج النسوي، اللهم إلا أن تدفع إلى

شيء من ذلك دفعاً، كالذي أشرنا إليه من سفارتها للزوجات النبي عند

أبيها صلى الله عليه وسلم، في أمر السيدة عائشة.

وإنما الخوف كل الخوف من عائشة، في غيرتها العارمة، وضيقها بكل

ضرة حسناء تدخل بيت المصطفى وتشاركها فيه.

ولما سألها صلى الله عليه وسلم عما حملها على ذلك أجابت: - «بلغت من

قومي ما لا يخفى عليك، فقلت: - إن كان نبياً فسيخبر. وإن كان ملكاً

استرحت منه».

فتجاوز عنها الرسول، ومات «بشر بن البراء» من أكلته التي أكل

فلعل «أبا أيوب الأنصاري» ذكر هذه الفعلة اليهودية، حين

بات ساهراً حول القبة التي دخل فيها صلى الله عليه

وسلم على صفية عقيقة بني النضير.

وبلغ الركب المدينة وفي حديث
أنس رضي الله عنه قال :- «فعثرت الناقة
الضباء، وندرت صفية فقام النبي صلى الله عليه
وسلم فسترها وقد أشرفت النساء فقلن :-
«أبعد الله اليهودية» (١).

وآثر النى ألا يدخل بالعروس على نسائه، «وقد خرجت جواريهن
يتراعيها ويشمتن بصرعته».

فأنزلها فى بيت لصاحبه «حارثة بن النعمان»،
وتسامعت نساء الأنصار بها، فجئن ينظرن إلى جمالها، ولح الرسول
زوجته عائشة تخرج متنقبة على حذر، فتتبع خطواتها من بعيد، فراها
تدخل بيت حارثة بن النعمان، وانتظر حتى خرجت، فأدركها وأخذ بثوبها
وسألها ضاحكاً: «كيف رأيت يا سعيراء؟».

فأجفلت عائشة، وقد هاجت غيرتها، ثم هزت كتفها وهى تجيب
«رأيت يهودية». ورد الرسول :

«لا تقولى ذلك، فإنها أسلمت وحس إسلامها!».

ولم تلق عائشة أنها جميلة حقاً، ولعلها زادت فحدثت

(١) السيرة ٢ / ١٦٥ وفاء الوفا ١ / ٢٧٠ .

حفصة:- «قال :- نعم والله، قال

عمى :- أتعرفه وتبته؟ قال:- نعم . قال:-

فما فى نفسك منه؟ أجاب:- عداوته والله ما

بقيت»(١).

وهناك خارج القبة التى دخل فيها الرسول على صفية، بات رجل من الأنصار ، هو «أبو أيوب خالد بن زيد» يقظان ساهراً، متوشحاً سيفه، يطوف بالقبة على غير علم من رسول الله، فلما أصبح صلى الله عليه وسلم سمع حركته ورأى مكانه فسأله:- «مالك يا أبا أيوب؟».

أجاب :- «يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، قد قتلت أباهها وزوجها وقومها، وكانت حديثه عهد بكفر، فخفتها عليك». فيقال أن الرسول دعا له قائلاً:- «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى». أو قال :- «رحمك الله يا أبا أيوب». ولم يكن المسلمون قد نسوا بعد، تلك الفعلة الشنعاء لامرأة من يهود خيبر، هى زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، أحد زعمائهم القواد .

(١) الأصابة . عين الأثر :- خلافاً لما ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب.

دخلت زينب هذه على الرسول
وهو مطمئن بعد أن استسلم اليهود
لمصيرهم ووقعوا الصلح مع القائد المنتصر ، فأهدت
إليه شاة مسمومة وكانت قد سألت بعض أصحابه :- أى
عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ؟ قيل لها :- الذراع.
فأكثرت السم فى الذراع حتى سرى منه إلى سائر الشاة ووضعها
بين يديه صلى الله عليه وسلم ومعه صاحبه بشر بن البراء فتناول
الرسول الذراع ، وأعطى ابن البراء قطعة أخرى أكلها غير متريب.
لكن الرسول لم يسغ الذراع، بل لفظها وهو يقول :-
«إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم» .
ودعا بامرأة سلام، فاعترفت بأنها سمت الشاة عامدة.
قالت :- إنها فى ليلة عرسها بكنانة بن الربيع، رأت فى المنام أن قمراً
وقع فى حجرتها، فلما صحت من نومها عرضت رؤياها على كنانة،
فقال غاضباً :- « ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً » (١).
ولطم وجهها لكمة ما يزال أثر منها فيه.

(١) السيرة ٣ / ٣٥٠ وتاريخ الطبري ٣ / ٩٤ . والسمط الثمين .

ونظر الرسول إلى أثر اخضرار

فى عينيها، وقد سره ما سمع من حديثها

وهم يقبل عليها، لكنه أمسك وسأل :-

« ما حملك على الامتناع أولاً؟ » أو قال :- « ما حملك على

ابائك فى المنزل الأول؟ ».

وأجابت العروس على الفور :- « خشيت عليك قرب اليهود ».

فزال ما كان فى نفسه من جفوة، وأشرق وجهه الكريم بابتسامة راضية وتسترجع صفية، ذكريات لها عن ارهاص أهلها اليهود بنبى منتظر يعرفونه من أسفارهم ثم حقدهم وغيظهم يوم استقبلت دار الهجرة النبى المهاجر : الذى طالما بشرت يهود بقرب مبعثه، تستغل البشرى لحماية ثروتها بيثرب من كل غاز وطامع، أو تتفاخر بها على العرب الأميين، فيما تتفاخر من علمها بالكتاب .

تقول صفية بنت حى بن أخطب:-

« كنت أحب ولد أبى إليه وإلى عمى أبى ياسر، لم ألقهما قط مع

ولدهما إلا أخذانى دونه، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه

وسلم المدينة غداً عليه أبى وعمى مفلسين، فلم يرجعا

حتى كان مع غروب الشمس فأتيا كاليين ساقطين

يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما

كنت ، أصنع، فوالله ما التفت
واحد منهما مع ما بهما من الغم وسمعت أبا
ياسر وهو يقول لأبي : - أهو هو ؟».

• رؤيا العروس وذكرياتها •

* وانتظر صلى الله عليه وسلم بخير حتى هدأت المناحة، وظن أن
الروع قد ذهب عن صفية أو كاد ، فحملها وراءه وانطلق بها إلى المنزل
فى أطراف خير على بعد ستة أميال منها فمالى يريد أن يعرس بها،
لكنها تمنعت وأبت عليه أن يفعل (١).
فوجدها صلى الله عليه وسلم فى نفسه وشق عليه تمنعها ورفضها ثم
استأنف مسيرته راجعاً بعسكرة إلى المدينة، فلما كان بالصهباء بعيداً
عن خير نزل هناك يستريح، فبدأ له أن صفية متهيئة للعرس جاعتها
ماشطة . يقول ابن اسحق أنها أم سليم بنت ملحان، أم أنس ابن
مالك، فمشطتها وجملتها وعطرتها وظهرت صفية عروساً مجلوة،
تأخذ العين بسحرها حتى لتقول أم سنان الأسلمية، إنها لم
تر بين النساء أضواً منها (٢).

(١) السيرة ٢ / ٢٤٧ والنقل منها . وتاريخ الطبرى ٨ / ١٢٦ .

(٢) الإصابة ٨ / ١٢٦ .

وراء جلوة الفرع المرتقب، غابت
آثار الحزن والألم وكأن العروس تسميت
المنذبة المروعة التي ألفت بأهلها صرعى مجندين،
وأخرجتها من حصن القموص ذليلة أسيرة، تساق بين
السبايا! وثمت، أقيمت وليمة العرس حافلة، وأكل الناس من
طيبات خبير حتى شبعوا، ثم دخل الرسول على صفية وما يزال
فى نفسه شئ من رفضها الأول وأقبلت عليه العروس بادية اللهفة
تحدثه حديثاً عجبا: ثم دنا من صفية، وقد بدا له عليها أنها راغبة فى
أكثر من حماية النبى الفارس، فالقى عليها نظرة رحيمة وهو يقول
لبلال: «أنزعت منك الرحمة يابلال حين تمر بامرأتين على قتلى
رجالهما؟» (١).

ثم أمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه فكان ذلك إعلماً بأنه
صلى الله عليه وسلم، قد اصطفاها لنفسه وكان المسلمون قد قالوا:-
ما ندرى أتزوجها أم أتخذها أم ولد، فلما حجبها عرفوا أنه صلى
الله عليه وسلم قد تزوجها .

(١) السيرة ١ / ٣٤٥ ، ٤ / ٢٩٤ . وتاريخ الطبرى ٢ / ١٧٧ .

وفى حديث عن أنس رضى الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
أخذ صفية بنت حبي قال لها :- « هل لك فى؟
قالت :- يا رسول الله ... قد كنت أتمنى ذلك فى الشرك،
فكيف إذا أمكننى الله منه فى الإسلام؟ ».
فأعتقها عليه الصلاة والسلام وتزوجها وكان عتقها صداقها (١).

• خربت خيبر •

* انتهت السنة السادسة للهجرة، بعد أن أحدثت فى بيت النبى ضجة ما
مثلها ضجة، وتزوج فيها صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث،
وابتلى بمحنة الإفك فى أعز زوجاته، صلى الله عليه وسلم وأحبهن إلى
قلبه بعد خديجة ، ثم صلح الحديبية.

وبزغ هلال المحرم فى سنة سبع، وهو يتهىء لمعركة حاسمة تقطع
داير اليهود اللئام الذين كشفت وقعة الخندق عما ينطوون عليه من
حقد مرير، وما يبيتون للإسلام من شر وغدر.

وخرج عليه الصلاة والسلام فى النصف الثانى من

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٨٤ . والاستيعاب ٤ / ١٨٧٢ .

المحرم إلى خيبر معقل العدو ،

فما أشرف عليها حتى هتف: «الله أكبر،

خربت خيبر، إنا إذا نزلنا يساحة قوم فساء صباح

المنذرين» وضربت خيبر: -فتحت حصونها حصناً

حصناً، وقتل رجالها وسبى نساؤها، وفيهن عقيلة بنى النضير

«صفية بنت حبي بن أبن أخطب التي ينتهى نسبها إلى هارون

أخى موسى عليهما السلام.

وأما برة بنت شموال أو شموال . ولم تكن قد تجاوزت السابعة عشر

من عمرها لكنها، على صغر السن، تزوجت مرتين

تزوجت أولاً من فارس قومها وشاعروهم سلام بن مشكم ثم خلف عليها

كنانة بن الربيعه بن أبى الحقيق (١). صاحب حصن القموص أعز حصن

فى خيبر.

وقد اقتحم الحصن بعد نضال مرير، وجئ بكنانة حياً، وكان عنده

كنز بنى النضير، فسأله صلى الله عليه وسلم عنه فجحد أن يكون

يعرف مكانه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أرأيت أن

وجدناه عندك، أأقتلك؟»

قال كذا في المشيرة ٣ / ٣٤٢ . وتاريخ الطبري . وعيون الأثر ٢ / ١٣٠ .

فلما اكتشف محباً الكنز عنده،
دفعه صلى الله عليه وسلم إلى محمد ابن
سلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن سلمة الذي قتله
اليهودى فى المعركة (١).

وسيقت نساء القموص سبايا، وفى مقدمتهن صفية امرأة
كنانة، وابنة عم لها، يقودهما بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه
وسلم.

ومر بهما بلال على مساحة امتلأت بالقتلى من يهود فهت صفية أن
تصيح، لكن الدريحة احتبست فى حلقها لا تنطق أما ابنة عمها فاعولت
صارخة ، وصكت وجهها، وحشت التراب على رأسها....
وجئ بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، صفية فى حزنها
الصامت وجزعها الكبوت، تحاول أن تتناسك فى ترفع وكبرياء، وما
من أحد يعرف قيم كانت تفكر، وإن بدا أنها تلوذ أمام القائد
المنتصر بآخر ما كان لها من عزة وجلال ..

والأخرى شعثاء الشعر معفرة بالتراب، ممزقة الثياب ، لا
تكف من العويل والنواح .

(١) السيرة ٣ / ١٣١ والنقل منها .

قال وهو يشيخ بوجهه عنها :-

«أغربوا عنى هذه الشيطانة» (١).

• زواج نساء أهل الكتاب •

* يحل للمسلم أن يتزوج الحرة من نساء أهل الكتاب

لقوله تعالى فى سورة (المائدة) الآية (٥) :-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ،

وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات غير مسافحين ولا

متخذى أخدان }

صدق الله العظيم . (سورة المائدة آية ٥) قال

بن المنذر :-

ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك .

وعن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن زواج الرجل النصرانية أو

اليهودية قال :- وحرم الله المشاركات على المؤمنين ، ولا أعرف

شيئاً من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة :- (ربها عيسى، أو

عبد من عباد الله) .

(١) السيرة ٣ / ٣٥١ . وتاريخ الطبري ٢ / ٩٥ . والمحير ٩٠ .

• حكمة إباحة التزوج منهن :

وإنما أباح الإسلام الزواج منهن ليزيل

الحواجز بين أهل الكتاب وبين الإسلام فإن في

الزواج المعاشرة والمخالطة بين الأسر بعضها ببعض،

فتتاح الفرص لدراسة الإسلام ومعرفة حقائقه ومبادئه .

زُوجَات الرِّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِكْمَةُ تَعَدُّدِ الزُّوْجَاتِ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ ائْتَمَنَهُ عَلَى أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُجَهُ .. وَمَا
دَامَ قَدْ ائْتَمَنَهُ عَلَى أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُجَهُ ، فَأَمَانَتُهُ عَلَى نَفْسِهِ
أُولَى بِهِ مِنْ أَمَانَتِهِ عَلَى غَيْرِهِ، إِذَنْ لَا تَتَنَاقَشُ أَشْيَاءٌ عَلَى مُوَازِينِ
أَنْتِ تَدْعِي أَنَّهَا مُوَازِينِ كَمَالٍ ، ثُمَّ تَنْسِبُ فِعْلَ رِسُولِنَا إِلَيْهَا ،
لَتَقُولِ: - إِنَّ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ غَيْرُ ثَابِتَةٍ ...

وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَسْأَلَةُ تَعَدُّدِ زُوجَاتِ الرِّسُولِ تَطْرَحُ سَوْألاً :-
* هَلِ الرِّسُولُ جَاءَ وَالنَّاسَ يَعْصُونَ ، أَوْ جَاءَ لِيُشْرَعَ التَّعَدُّدُ فِي الزُّوْجَاتِ؟
بَلِ الرِّسُولُ جَاءَ قَوْمَ يَعْصُونَ ، فَهُوَ حِينَ عَدَدٍ لَمْ يَكُنْ بَدْعاً بَيْنَهُمْ فِي هَذَا
التَّعَدُّدِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ إِنْ سَبَقَتْ فِيهَا رِسُولٌ لَمْ يَتَزَوَّجْ ، فَقَدْ سَبَقَتْ فِيهَا
رِسَالُ كَثِيرٍ قَرَّبُوا أَعْدَاداً مُتَعَدِّدَةً ، فَلَوْ ضَرَبْنَا بِالْمَثَلِ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ وَأَنْ سَبَبَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَغْفِرُ فِي مَكَانٍ
إِلَّا لِيُرْدِلَ عَنْهُ كَمَا تَتَطَلَّبُهُ دَعْوَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فَالرِّسُولُ لَمْ يَشْرَعْ التَّعَدُّدَ ، وَإِنَّمَا جَاءَ وَالتَّعَدُّدُ نِظَامٌ قَائِمٌ لَهُ
وَلَدَلُ النَّاسِ ، لَكِنَّ الْأَمْرَ يَخْتَلِفُ مَعَ رِسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِذْ
أَنَّ الرِّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ لَمْ

يتزوج أكثر من أربعة فأمره أن
 يمسك أربعاً، ويفارق الباقي، هذا كلام
 واضح بالنسبة لمن تبعه من المؤمنين . ولكن لتذكر
 :- هل كانت الإباحة لأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
 إباحة لمعدود، أم كانت إباحة لعدد ؟

* الإباحة لأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كانت لمعدود . أي
 كان هذا العدد، أربعة، فإن ماتت واحدة تزوج غيرها مكانها، إن طلق
 واحدة يأتي بواحدة مكانها، إن طلقهن جميعاً فله أن يتزوج أربعاً
 غيرهن. إذن فتابع الرسول صلى الله عليه وسلم له العدد، أما الرسول
 صلى الله عليه وسلم فليس له العدد، وإنما له المعدود .
 والفرق بين العدد والمعدود :- أن المعدود إنما أتيح للرسول بنواته فإن
 ماتت واحدة لا يأتي بواحدة مكانها، وإن مات الأربعه عند الرسول
 فليس له أن يتزوج بواحدة .
 إذن فقد أتيح له المعدود، فهن يخصصهن . قال الله تعالى في
 سورة الأحزاب الآية (٥٢) :-

بسم الله الرحمن الرحيم
 ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَدُلَّ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجِ
 وَلِيَّائِكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝٥٢﴾

ذلك حكم ليس لتابع من أتباع

الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذن فالعدد

عند تابع «محمد» قد يدور إلى الأربعين... لكن

العدد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إما أن يحتفظ

بأربعة ويسرح الخمسة، وحين يسرح الخمسة فإنهن أمهات

المؤمنين محرمات على سائر المؤمنين .

* إذن فلو سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس نساء، لبقين

أى الخمسة بدون زواج، لأنهن محرمات على الجميع، ورسول الله صلى

الله عليه وسلم حين يشرع لأخته أن يمسكوا أربعة ويسرحوا الباقي

فهذا الباقي لكل منهن أن تتزوج من رجل آخر .

ولكن ذلك بالنسبة إلى الرسول ممنوع، لأن زوجاته محرمات، إذن فليس

لهن إلا أن يبقين زوجات لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأيضاً فالمعنى الذى يريدون أن يغمزوا به رسول الله صلى الله عليه

وسلم مرفوض فى تاريخه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو فى الخامسة والعشرين تزوج امرأة تكبره بخمسة عشر

عاماً، وهذا على خلاف القاعدة، فى أن الرجل يتزوج

دائماً بمن دونه فى العمر وظل مع خديجة إلى أن

ماتت، ولم يتزوج عليها.

كان لابد أن يتزوج بمن تقوم

بمسائله، فتزوج سودة بنت زمعة، امرأة

تقوم بواجب الزوجية، وتزوج عائشة ، وهى فى

السادسة من عمره ويدخل بها وهى فى التاسعة،

فالسباق الجنىسى أو العاطفى ممنوع هنا، بعد ذلك نأتى ننجد

فى نسائه من تبرع بليلتها لضررتها . فهل تتبرع بليلتها إلا بعد

عدل الرسول ؟ ثم تأتى هى وتتبرع بليلتها، ومعنى هذا أنها فى ذاتها

لا تصلح أن تكون امرأة يقضى منها الرجل إربقه، فكأنها لم ترد إلا

أن تكون أماً للمؤمنين ومن نسائه، فى الجنة بصفته وساماً من الأوسمة

كذلك نأتى إلى «أم سلمة» وعندها عيال، وتقول لرسول الله :- إنها لم

يعد لها إرب، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يجعلها أماً

للمؤمنين ، ويريد أن يلقي الناس درساً فى أن الإنسان إذا أصيب فى

عزيز لديه ينبغى أن يستقبل المصيبة بما علمنا رسول الله فنقول :-

إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أجرنى فى مصيبتى، واخلفنى

خيراً منها

حين مات «أبو سلمة» وكانت تحبه قيل لها - قولى ما علمنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :- « أهناك خير

من أبى سلمة ؟ فقد أسعبدت أن يكون هناك من

هو خير من أبى سلمة ، فرسول الله علمنا

أن هذا الدعاء لابد أن يأتىها

بخير من أبى سلمة
وتزوجها رسول الله، وأصبحت أمّاً
للمؤمنين .

* فكل [زوجة من زوجات] رسول الله صلى الله عليه
وسلم قضية إيمانية يريد الرسول أن يثبتها فى المؤمنين...
«حفصة» مثلاً يعرضها عمر على أبى بكر وعثمان ويرفضان
الزواج بها، ويحزن ذلك فى نفس عمر، فيتزوجها رسول الله .
كل هذا يدل على أن لكل زوجة (قصة) ... ويجب أن يلحظ أنه لم يوسع
عليه فى ذلك، بل إنه (ضيق عليه) .
* ذلك ما يمكن أن ترد به على من يقول ذلك فى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويجب أن نفتح المجال لبحث هذه الأشياء، لأنهم حين تكلموا
عن رسول الله هكذا، فقد دفعوا المسلمين إلى بيان حقيقة هذه المسألة،
فربما كان فى نفوس المسلمين منها شئ .
إنهم يريدون أن يشوهوا نبى الإسلام، لكنهم فى الواقع خدموا
(بنى الإسلام)

المراجع



* القرآن الكريم .

* الفقيه المحدث أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن

أحمد بن أبى حسن الخثعمى السهلى ، فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام (الرُّوضُ والأَنْفُ) . ومعه : إمام أبى محمد عبد المالك بن هشام المعافى المتوفى فى ٢١٣هـ (السيرة النبوية) .
قدم له وعلق عليه ووسطه [طه عبد الرؤوف سعد] .

* الشيخ / محمد متولى الشعراوى (شبّهات وأياميل ذصوم الإسلام والرد عليها) .

* دكتورة / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطى) (تراجم سيدات بيت النبوة «رضى الله عنهن») .

* إبراهيم محمد الجمل (فقه المرأة المسلمة) .

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	حديث السيرة النبوية	٣
٢	مفيدة بنت حبيب	٤
٣	رؤيا العروس وذكرياتهما	١٥
٤	عزبت خبير	١٧
٥	زواج نساء، أهل الكتاب	٢٠
٦	زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم)	٢٢
	وحكمة تعدد الزوجات	
٧	المراجع	٢٧